

تفسير البحر المحيط

@ 333 قبل ، فاتفق أن صدق طنه هناك ، ولم يتحقق هنا . وقال الزمخشري : بل سولت لكم أنفسكم أمراً أردتموه ، وإلا فما أدري ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة لولا فتواكم وتعليمكم . وتقدم شرح سولت ، وإعراب فصير جميل . ثم ترجى أن اجمعهم عليه وهم : يوسف ، وبنيامين ، وكبيرهم على الخلافة الذي فيه . وترجى يعقوب للرؤيا التي رآها يوسف ، فكان ينتظرها ويحسن طنه با في كل حال . ولما أخبر به عن ملك مصر أنه يدعو له برؤية ابنه ، ووصفه بهاتين الصفتين لأثق بما يؤخره تعالى من لقاء بنيه ، وتسليم لحكمة ا فيما جرى عليه . .

{ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفًا وَقَالَ يَا أَسَفًا عَلَيَّ يَوْسُفَ
وَابْنَيْهِ صَوَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَأَلَّفْنَا
تَذَكُّرًا يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ
إِنَّ زَمًّا أَشْكُو بَتِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَامُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ * يَبْنِي إِذْ يَهْبُؤُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا
تَأْتِيئُسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّ زَنَّهُ لَأَيُّئُسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } : وتولى عنهم أي أعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به ، وأنه ساء
طنه بهم ، ولم يصدق قولهم ، وجعل يتفجع ويتأسف . قال الحسن : خست هذه الأمة بالاسترجاع .
ألا ترى إلى قول يعقوب : يا أسفي ، ونادى الأسف على سبيل المجاز على معنى : هذا زمانك
فاحضر . والظاهر أنه يضاف إلى ياء المتكلم قلبت ألفاً ، كما قالوا : في يا غلامي يا
غلاماً . وقيل : هو على الندبة ، وحذف الهاء التي للسكت . قال الزمخشري : والتجانس بين
لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعاً غير مستعمل فيملح ويبدع ، ونحوه : اثاقلتم إلى الأرض
أرضيتم ، وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون أنهم يحسنون صنعاً من سبأ نبأ انتهى .
ويسمى هذا تجنيس التصريف ، وهو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف . وذكر
يعقوب ما دهاه من أمر بنيامين ، والقائل لن أبح الأرض فقدانه يوسف ، فتأسف عليه وحده ،
ولم يتأسف عليهما ، لأنه هو الذي لا يعلم أحي هو أم ميت ؟ بخلاف أخوته . ولأنه كان أصل
الرزايا عنده ، إذ ترتبت عليه ، وكان أحب أولاده إليه ، وكان دائماً يذكره ولا ينساه .
وابيضاض عينيه من توالي العبرة ، فينقلب سواد العين إلى بياض كدر . والظاهر أنه كان
عمي لقوله : فارتد بصيراً . وقال : { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ } فقابل
البصير بالأعمى . وقيل : كان يدرك ادراكاً ضعيفاً ، وعلل الابيضاض بالحزن ، وإنما هو من

البكاء المتوالي ، وهو ثمرة الحزن ، فعلل بالأصل الذي نشأ منه البكاء وهو الحزن . وقرأ ابن عباس ومجاهد : من الحزن بفتح الحاء والزاي ، وقتادة : بضمها ، والجمهور : بضم الحاء وإسكان الزاي . والكظيم إما للمبالغة وهو الظاهر اللائق بحال يعقوب أي : شديد الكظم كما قال : { وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ } ولم يشك يعقوب إلى أحد ، وإنما كان يكتمه في نفسه ، ويمسك هممه في صدره ، فكان يكظمه أي : يرده إلى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والضجر . وإما أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول ، وهو لا ينقاس ، وقاله قوم كما قال في يونس : { إِذْ زَادَیْ وَهَوَّوْا مَكْظُومٌ } . قال ابن عطية : وإنما يتجه على تقدير أنه مليء بحزنه ، فكأنه كظم حزنه في صدره . وفسر ناس الكظيم بالمكروب وبالمكمود . وروي : أنه ما جفت عيناه من فراق يوسف إلى